إشكالية التّناصّ
في قراءات المستشرقين لنصوص السيرة النبوية

The problem of intertextuality
In Orientalist readings of the texts in the Prophet's biography

د. محمد بن قيدة[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة
byahiaaa@gmail.com

تاريخ الوصول 07 /2020/06 القبول 05/10/2020 النشر علي الخط 15/09/2021
Received 07 /06/2020 Accepted 05/10/2020 Published online 15/09/2021

ملخص:

طرَح المستشرقون إشكالية التناص بين نصوص السيرة النبوية ونصوص من الإنجيل والتوراة وغيرها قديما وحديثا، لغرض التشكيك في أصالة روايات السيرة ونصوصها على وجه العموم أو الخصوص، بينما لم يوافق جملة من المستشرقين على هذا الطرح وإن كانوا يقرون بالتناص العام في مواطن أخرى تتعلّق بالقرآن والتشريع.

قدمت في هذا الموضوع نماذج تطبيقية من قراءات المستشرقين التناصية لنصوص السيرة النبوية؛ وقمت بتحليلها ومناقشتها على وجه التفصيل والعموم.

الكلمات المفتاحية: التناص ، المستشرقون ، السيرة النبوية.

- **Abstract**:

The Orientalists raised the issue of the interconnection between the texts of the prophetic biography and the texts of the Bible, the Torah and others in the past and the present with the aim of questioning the authenticity of the texts of the biography in general or in particular, while some did not agree to this proposal despite their recognition of the common relationship in general.

This topic provides practical examples of Orientalists' use of the approach to intertextuality in the texts of the Prophet's biography, where I analyzed examples and discussed them in detail and in general.

- Keywords: intertextuality , Orientalist , the Prophet's biography.

[1] المؤلف المرسل: محمد بن قيدة الإيميل: **byahiaaa@gmail.com**

مقدمـة:

تطورت مناهج النقد الأدبي في العصر الحديث على مراحل بداية من أواخر القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين، وهي مناهج تهدف إلى تفسير النص واستجلاء الملامح الجمالية فيه، كما تبحث في أصالته؛ وقد استفاد المستشرقون من هذه المناهج النقدية في تفسير النصوص الإسلامية وتحليلها ونقدها، كما هو الحال مع النصوص والخطابات الدينية عندهم في الغرب.

ونظرية التّناصّ من المناهج النقدية الأدبية التي برزت في المرحلة المعاصرة وطرحت إشكالات عديدة في مجال نقد النصوص الأدبية والدينية؛ على مستوى أصالة النص وتفاعلاته المختلفة واستمداداته، مع أنّ قضيّة التناص كإشكال طُرحت قديما في النصوص الدينية وحتى الأدبية، لكن الطرح الجديد للتناص قدم بعض الإضافات عل مستوى تحليل النصّوص والمقارنة بينها لإثبات الموافقات والفروق، واستنتاج الأصالة والانتحال أو التجديد تبعا لذلك.

فكيف استفاد المستشرقون من منهج التناص في قراءاتهم لنصوص السيرة النبوية ورواياتها؟ وهل كان لهذا المنهج أثر في طريقة طرح قضايا التناص عند المستشرقين قديما وحديثا؟ وهل أعمل المستشرقون هذا المنهج لخدمة أهداف المدرسة الاستشراقية المشكّكة في أصالة روايات السيرة النبوية وربانية الوحي والرسالة؟

عالجت هذه الإشكالات وغيرها في **أربعة محاور**؛ عرّفت فيها بمصطلح التّناصّ على المستوى النظري، ثم ضربت أمثلة تطبيقية من قراءات المستشرقين التناصية لنصوص السيرة وقمت بتحليلها ومناقشتها بالتفصيل، ثم قدمت نقدا عاما لتلك القراءات في المحور الأخير.

وهي كالآتي: - **المحور الأول**: تعريف موجز بنظرية التناص.

- **المحور الثاني**: أطوار إشكالية التناص في نظرة الغربيين والمستشرقين لنصوص السيرة.
- **المحور الثالث**: نماذج من قراءات المستشرقين التناصية لنصوص السيرة النبوية.
- **المحور الرابع** : التناص لا يقتضي التشكيك في الأصالة.

المحور الأول : تعريف موجز بنظرية التناص:

أولا- مصطلح التناص: "INTERTEXTUALITE "

1)- المعنى اللغوي: ورد في معاجم العربية القديمة والمعاصرة الإطلاق العام لِمفردة "التناصّ"؛ "**فتناصّ** القوم": أي اجتمعوا، وهي من اشتقاقات مادة "**نصص**"[1].

[1]- ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، 182/18. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى والزيات وآخرون، 926/2. والنص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 40.

وقد تعدّدت الترجمات العربية المعاصرة للمصطلح الغربي "Intertextulite"؛ بين من يعرّبه: "بالتناص"، ومن يعرّبه: "بالتناصية"، وفريق آخر "بالنصوصية"، وآخرون "بتداخل النصوص"، لكن يبقى مصطلح "التناص" هو الأكثر شيوعا وانتشارا[1].

2)- المفهوم الاصطلاحي: بِما أنّ المصطلح ظهر أولا في الغرب؛ فأقدّم تعريفات الغربيين له، ثم أثنّي بذكر التعريفات التي قدّمها النقاد العرب لهذا المصطلح.

أ)- تعريفات النقاد الغربيين:

- تعتبر الناقدة الأدبية "**جوليا كرستيفا**" أنّ: **النص عبارة عن فسيفسائية من الاقتباسات**[2]؛ وتلك الاقتباسات تعبّر عن التناص والتفاعل الحاصل بين النصوص.

- والتناص عند الناقد "**مارك أنجينو**": فهو «أن يتقاطع في النص مؤدّى مأخوذ من نصوص أخرى»[3].

- ويرى الناقد "**ريغايتر**": «أنّ التناصّ هو أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده»[4].

ب)- تعريفات النقاد العرب:

- يعرّف الناقد الأدبي "**محمد عزام**" **التناصّ**: بأنّه **تشكيل نص جديد من نصوص سابقة ومعاصرة**، أُعيدت صياغتها بشكل جديد، وليست هنالك حدود بين نص وآخر، ولم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها؛ وهكذا يتفاعل النّصّان: **الغائب** و**الماثل**، من أجل إنتاج نص جديد[5].

فالنص الماثل هو النص الجديد الذي بين أيدينا، و**النص الغائب** هي النصوص التي أخذ منها النص الجديد (الماثل) أو تأثر بها، ثم تجسدت على صفحاته بوجه من الوجوه ظاهرة كانت أم خفية.

ويعبّر الناقد الأدبي "رولان بارت" عن العملية التفاعلية في نظرية التناصّ بمصطلح: **تخلّق النصّ**؛ حيث تتجاوز هذه النظرية النص الماثل الذي يسمّيه **بخِلقة النص** إلى تكوينه وأصوله[6].

- كما قدم الناقد الأدبي "**عبد الملك مرتاض**" تعريفا دقيقا للتناص أوضح فيه جانب اللاوعي في نظرية التناص، سأورده عند الكلام على هذه الحيثية [في العنصر الثالث حول أنواعه].

ثانيا- الجانب التاريخي: ظهر مصطلح التّناصّ على يد "جوليا كريستيفا" عام (1966م) -أو قبل ذلك بسنوات[1]- التي استنبطته من دراسات "باختين" ثم احتضنته البنيوية الفرنسية، وما بعدها من اتجاهات سيميائية، وتفكيكية، في كتابات "كريستيفا"، و"رولان بارت"، و"تودوروف" وغيرهم من رواد الحداثة النقدية، على الرغم من أن بذوره كانت أقدم من ذلك[2].

---

[1]- ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 40. ونظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، 254-257.

[2]- ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 11 و23 و30.

[3]- التناصية، مارك أنجينو، ضمن: دراسات في النص والتناصيّة، ترجمة محمد خير البقاعي، 60. وينظر: نظرية التنانص -صك جديد لعملة قديمة-، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75-جزء2/، 328.

[4]- نظرية التنانص -صك جديد لعملة قديمة-، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75-جزء2/، 328.

[5]- ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 11- 12 و28-29. وكذا: نظرية التنانص-صك جديد لعملة قديمة-، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75-جزء2/، 349-350.

[6]- ينظر: نظرية النصّ، رولان بارت، ضمن: دراسات في النص والتناصيّة، ترجمة محمد خير البقاعي، 37-38.

جاءت نظرية التناص بعد النظريات المنغلقة على النص وبنياته الداخلية، لتحاول النظر في المؤثرات النصيّة السابقة على النص، والتي تتجلى في صياغات مجهولة النسب؛ حيث يبحث التحليل التناصي في تفاعل النصوص فيما بينها، وهكذا ظهر مصطلح "النص الغائب" مفهوما نقديا جديدا[3].

هذا على مستوى المصطلح والتنظير، أمّا تطبيق هذا المنهج في نقد النصوص الأدبية وحتى الدينية فهو قديم أيضا.

– **التناص في النقد العربي القديم:** تنبه النقاد العرب القدماء إلى ظاهرة تداخل النصوص أو التفاعل النصّي، وبخاصة في الخطاب الشعري، حيث وردت في تراثنا النقدي العربي مصطلحات عديدة تقارب مصطلح "التّناصّ" (**كالتضمين، والتلميح، والإشارة، والاقتباس، والمعارضات والسرقات**[4]... إلخ)؛ وهذه المصطلحات تدقق في جزئيات التداخل من منظور بلاغي؛ ومن هنا يمكن القول إن النقد العربي القديم أشار إلى التفاعل النصّي (التناصّ)، وإن لم يحدده باسمه المعاصر، ولكن تحت تسميات اصطلاحية تقترب قليلاً أو كثيرا من مفهوم "التّناصّ" المعاصر[5].

– **علاقة نظرية التناص بفلسفات قديمة وحديثة:** يذكر الناقد الأدبي "مارك أنجينو" أنّ إنتاج هذه النظرية النقدية يرجع إلى بعض النظريات التي شاعت في بداية القرن التاسع عشر (19) في العلوم الطبيعية وعلم الإحاثة؛ والتي: تقضي بأن تتبع كل لفظة جديدة باسم وبتاريخ[6].

ويرجع الناقد "عبد الملك مرتاض" محاولات النقد التناصي الأولى في النقد الفرنسي إلى بعض الآراء التي طرحها الناقد الفرنسي "جان جيرودو" (1882–1944) في بداية القرن العشرين[7].

فالنظرية التناصية على مستوى التطبيق النقدي على النصوص كانت موجودة في الغرب منذ أواخر القرن التاسع عشر؛ في فرنسا مع "جيرودو" وفي روسيا مع "باختين".

---

[1]– سنة (**1966م**) هو تاريخ ظهور مصطلح "التناص" الذي يذكره أغلب الدارسين الغربيين والعرب "كأنجينو" و"بارت" و"محمد عزام"، لكن الناقد الجزائري "عبد الملك مرتاض" قدّم تاريخا أقدم من ذلك؛ حيث ذكر أنّ بعض المعاجم الفرنسية تؤرّخ لظهور المصطلح بسنة (**1958م**). ينظر: نظرية النص الأدبي، مرتاض، 189، وأيضا في: 193 و253.

[2]– ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 28 و37. والتناصية، مارك أنجينو، ضمن: دراسات في النص والتناصيّة، ترجمة محمد خير البقاعي، 59. ويراجع أيضا: 61–63. كلام جملة من نقاد الأدب ومنظريه عن فحوى التناص قبل "كريستيفا".

[3]– ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 8.

[4]– **فالتضمين:** أن يضمّن الشاعر في أثناء شعره جزءً من بيت شعري لشاعر آخر سابق. و**التلميح:** يكتفي فيه بإشارات. أمّا **الاقتباس:** فهو إدخال المؤلّف كلاما منسوبا للغير في نصّه؛ للتحلية أو للاستدلال، مع الإشارة إلى مصدر الاقتباس. و**السرقات الشعرية:** أن يأخذ الشاعر اللاحق من شعر الشاعر السابق: بيتا شعرياً، أو شطره، أو صورة فنية، أو حتى معنى ما. وهناك مصلطحات بلاغية ونقدية أخرى لا يسع المقام لبسطها، **مثل:** النقائض والاحتذاء، والتوليد وغيرها. ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 41–43. وعلوم البلاغة، محمد أحمد قاسم– محيي الدين ديب، 127 و133.

[5]– ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 41–42. ونظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، 189–190. ونظرية التنانص – صك جديد لعملة قديمة–، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75–جزء2/، 342– 344 و352–354.

[6]– ينظر: التناصية، مارك أنجينو، ضمن: دراسات في النص والتناصيّة، ترجمة محمد خير البقاعي، 59.

[7]– ينظر: نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، 192.

ثم برزت هذه النظرية مع إطلاق "كريستيفا" لهذا المصطلح الجديد، فكانت القطرة التي أفاضت الكأس؛ مع الأخذ في الحسبان أنّها طرحت النظرية في مرحلة تجديدية (بعد 1968) طُرحت فيها آراء نقدية (كالنظرية التفكيكية، ونظرية القراءة وغيرها) جاءت كبديل عن النظريات البنيوية الشكلية.

ثالثا- أنواعه: ينقسم التناص حسب النظرية المعاصرة إلى عدّة أنواع من حيثيات مختلفة:

أ- فهناك: **التناص العام**: الذي تتجلّى فيه علاقة نص الكاتب بنصوص غيره من الكتاب، و**المقيد**: الذي يكون بين نصوص الكاتب نفسه[1].

ب- وقد يكون التناص: مقصوداً: **بوعي شعوري**، أو غير مقصود: **بلا وعي**[2].

ويفسّر "عبد الملك مرتاض" حالة التفاعل اللاوعي في التناص[3]؛ فيقول: «هو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمّن ألفاظا أو أفكارا كان التهمها في وقت سابق ما؛ دون وعي صُراح بهذا الأخذ الواقع عليه من مجاهل ذكرياته وخفايا وعْيه... فهو محكوم عليه باجترار ثقافة أدبية تعامل معها بالقراءة أو الاستماع من قبل...؛ وهي تقع في كتاباته ولو لم يشعر بذلك»[4].

ج- كما أنّ التناص قد يكون: في **الشكل** (التراكيب والصياغة) ، أو في: **المضمون**[5].

د- وقد يكون: **مباشرا** صريحا (كالاقتباس والتضمنين والاستشهاد)، أو **غير مباشر** (كما في التلميح والإيحاء والتلويح) وغيرها[6].

[6].

رابعا- التناص في الدراسات عن مناهج المستشرقين: تختلف المصطلحات التي يعبّر بها الباحثون الذين تحدّثوا عن مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية عامة وفي التعامل مع نصوص السيرة خاصة؛ بين مَن يعبّر عن هذا المنهج بمصطلح: "**الأثر والتأثر**"[7]؛ لأنّ المؤثّر الثقافي من مرتكزات منهج التناص، ومن يطلق عليه عبارة: "**المقابلة والمطابقة**"[8]؛ باعتبار أن منهج التناص التناص يقوم على المقارنة بين النصوص لتسجيل التشابه والتطابق بينها.

بينما تعبّر أحدث الدراسات عن هذا المنهج بمصطلح "**التناص**" الذي صار شائعا في الدراسات المعاصرة[9].

---

[1]- ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 12.

[2]- ينظر: نظرية التنانص-صك جديد لعملة قديمة-، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75-جزء2/، 355-356.

[3]- للتوسع في هذه النقطة ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 11 و36. ونظرية النصّ، رولان بارت، ضمن: دراسات في النص والتناصيّة، ترجمة محمد خير البقاعي، 38.

[4]- نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، 199-200.

[5]- ينظر: النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، 12.

[6]- ينظر: نظرية التنانص-صك جديد لعملة قديمة-، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75-جزء2/، 356-357. والتناصية، ليون سميفل، ضمن: دراسات في النص والتناصيّة، ترجمة محمد خير البقاعي، 106-107.

[7]- ينظر: الاستشراق في السيرة، عبد الله النعيم، 34. والاستشراق الإسرائيلي، محمد جلاء إدريس، 40-41.

[8]- ينظر: الاستشراق الإسرائيلي، 42.

[9]- أغلب الدراسات الحديثة في هذا المجال تطرقت إلى إعمال منهج التناص في دراسات المستشرقين عن القرآن الكريم؛ فعلى سبيل المثال من أحدث ما وقفت عليه: رسالة دكتوراه بعنوان: "التناص: مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن"، إعداد: محمد عباسي، (سنة 2014/ الجامعة الإسلامية العالمية-باكستان)، وكتاب مطبوعة (سنة 2016) بعنوان: "التناص: القرآن في دراسات الحداثة العربية والاستشرق" للدكتور عبد العزيز الشهري.

المحور الثاني: أطوار إشكالية التناص في نظرة الغربيين والمستشرقين لنصوص السيرة:

يمكن رصد المراحل التي مرّت بها المقولات الاستشراقية في طرحها لإشكالية التناص في نصوص السيرة النبوية من خلال الأطوار الآتية:

- **الطور الأول**: يمكن القول أن تطبيق هذا المنهج على نصوص الوحيين يرجع إلى عصر النبوة؛ حين كان يعترض بعض كفار قريش ثم أهل الكتاب على نبوة محمد ﷺ؛ فيطرحون إشكال المؤثر الثقافي (اليهودي أو النصراني) في دعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ولا شك أنّ مبدأ **المؤثر الثقافي** (أو الإرث الثقافي) من المنطلقات الأساسية في قضية التناص قديما وحديثا[1].

وقد سجّل القرآن الكريم هذا الاستشكال الذي طرحه المعاندون لدعوة الرسول ﷺ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]، ثم إنّ القرآن نفى هذه الخلفية الثقافية لدى النبي ﷺ وردّ هذه الشبهة؛ إذ لم يكن من المطلعين على الأديان ولا الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

قال الإمام الرازي في "تفسيره": «المراد مِن هذه الآية حكايةُ شبهة أخرى من شبُهاتِ منكري نُبوَّة محمّد ﷺ؛ وذلك لأنّهم كانوا يَقولون إنّ محمّدًا إنَّما يذكُر هذه القصص وهذه الكلمات لأنَّه يَسْتَفيدُها مِن إنسان آخر ويتعلَّمها منه»[2].

ثُمّ ركّز المستشرقون في مرحلة العصر الحديث وقبله على **قضية المثاقفة** (أو **الإرث الثقافي**) في نقدهم لنصوص الوحيين عامة ونصوص السيرة النبوية خاصة، وسلكوا لها شتى السبل والطرائق[3]، والتي منها المقارنة بين النصوص لِملاحظة التوافق (والتناص) بينها، وكان الاتّجاه الغالب آنذاك هو محاولة إثبات أنّ النبي ﷺ اتّصل ببعض من لهم علم بالكتب السماوية السابقة؛ وأخذ عنهم ثقافة دينية مكنته من إنشاء دين جديد؛ مع محاولة إيجاد الذرائع والمبررات لذلك من نصوص السيرة النبوية؛ كإثارة الشبهات حول:

- لقائه ﷺ مع بحيرا الراهب في قصة سفره إلى الشام في صباه.
- واتصاله بورقة بن نوفل، وبعض الحنفاء في عصره.

ويعلّل المؤرّخ "جواد علي" نزوع غالب المستشرقين إلى هذا الإتجاه بقوله: «إنّ معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين، أو من المتخرجين من كليات "اللاهوت"، وإنّهم إذا تطرقوا إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام؛ حاولوا جهد إمكانهم ردّها إلى أصل نصراني، وطائفة المستشرقين من يهود -وخاصة بعد تأسيس "إسرائيل" وتحكم الصهيونية في غالبيتهم- يجهدون أنفسهم لردّ كل ما هو إسلامي وعربي إلى أصل يهودي، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء»[4].

وأكتفي هنا بإيراد مثالين يوضّحان التناص في هذه المرحلة، الذي يعتمد على إثبات المثاقفة في دعوته ﷺ:

---

[1]- ينظر: نظرية التنانص-صك جديد لعملة قديمة-، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75-جزء2/، 332-333.

[2]- تفسير الرازي "مفاتيح الغيب"، 271/20.

[3]- للتوسع في هذه النقطة ينظر: المستشرقون والسيرة النبوية (ضمن: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)، عماد الدين خليل، 136/1. والاستشراق الإسرائيلي، محمد جلاء إدريس، 40-41.

[4]- تاريخ العرب في الإسلام، 10.

[1]– تغير مواقف المستشرقين من قصة بحيرا الراهب: قصّة "بحيرا الراهب" رواية ثابتة مشهورة في كتب الحديث ومصنفات السيرة النبوية[1]، لكن اختلفت وجهات نظر المستشرقين إلى هذه الرواية؛ التي وقفوا عندها كثيرا بين مؤيد ومعارض لقراءتها وفق منهج **المثاقفة**؛ الذي يمكن اعتباره من أبرز الأوجه التي **تمثل إشكالية التناص** قديما.

– **فالموقف القديم**: يمثّله المستشرقون الذين أثبتوا الرواية؛ لِمقصد فاسد هو الاستدلال بها على أن النبي ﷺ نقل تعاليم دينه عن رهبان نصارى وغيرهم[2]، محاولين جعلها الحادثة الكبرى التي تثبت **الأثر الثقافي** في دعوته ﷺ.

هذا الموقف الكلاسيكي للمستشرقين الذي يمثّل **قراءة تناصية قديمة** لهذه الواقعة من السيرة.

– أما **الموقف الثاني**: فيمثّله المستشرقون المعاصرون الذين أدركوا وهَنَ الموقف القديم نظريا ومنطقيا؛ لأن القصّة لا تحتمله أصلا –حتى لِمن ليس له معرفة بالروايات–، فالمنطق لا يقبل القول بأنّ فتًى لم يتجاوز الثانية عشر من عمره يحمل من قسيس في جلسة عابرة ما يؤهله لصياغة دين متكامل ومنهج حياة؛ على إثر ذلك ذهب بعض المستشرقين المعاصرين إلى إنكار القصّة جملة وتفصيلا –كالمستشرقَيْن "بول–Buhl" و"فنسنك–Wensinck"– تَحرّجا من دلالتها على: صدق رسالته ﷺ بشهادة رهبان النصارى[3]، فتكون بذلك علَماً من أعلام النبوة.

مع ذلك نجد مِن المستشرقين مَن أبدى موقفا منصفا من هذه الرواية كالمستشرق والأديب الإنجليزي "**كارليل**": الذي أثبت صحة القصة، وبيّن أنّ المنطق لا يقبل الاستدلال بها على تلقي النبي ﷺ عن الرهبان[4].

[2]– مثال آخر: عن **دعوى التناص في** الشعر المنسوب "لأمية بن أبي الصلت": حيث عمد بعض المستشرقين القدامي إلى الربط بين شعر "أمية بن أبي الصلت" –وهو شاعر معاصر للرسول ﷺ لم يسلِم– وبين نصوص القرآن الكريم؛ وزعموا أن النبي ﷺ اقتبس منه، ليكون "شعر أمية" حسب هذا القول هو المؤثر الثقافي.

تَحمَّس لِهذا الرأي كلّ من المستشرقين: "هيوار" و"باور" و"فردرش شولثيس" وغيرهم، لكن أكثر المستشرقين بعدهم (كبروكلمان وبراو وبول) أدركوا ضعف هذه الدعوى، وردّوا هذا الافتراض؛ لأنّ جلّ شعر "أمية" منحول عليه لا يمكن إثبات صحّته[5].

وقد وضّح المستشرق "براو" إشكالية التناص في هذا الافتراض فقال: « **والآراء الدينية في كلام أمية مطابقة لِما جاء في القرآن... ولهذا أثيرت بالطبع مسألة اعتماد أحد القولين على الآخر... على أن صحة هذه القصائد إلى أمية أمر مشكوك فيه... أما القول بأن محمداً قد اقتبس شيئا من قصائد أمية فهو زعم بعيد الاحتمال**»[6].

---

[1]– جاءت الرواية صحيحة مسندة من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عند: **الترمذي** (تحفة)، أبواب المناقب، باب ما جاء في بدء النبوة، 64/10. و**الحاكم**، المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، 672/2. و**البيهقي**، دلائل النبوة، 24/2–25. والحديث **حسّنه** الترمذي وصححه الحاكم، كما صححه الألباني في تخريج "فقه السيرة للغزالي، 66". لكن المحدثين انتقدوا بعض العبارات في متن الرواية كذكر أبي بكر وبلال فيها، كما جاء من رواية **ابن إسحاق** في: سيرة ابن هشام، 180/1.

[2]– ينظر: الرسول: حياة محمد، المستشرق بودلي، 48–49. وينظر مناقشة هذه الشبهة بالتفصيل في: السيرة النبوية، أبو شهبة، 216/1.

[3]– ينظر كلام "بول" في: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 9113/30. وكلام "فنسنك" في: المصدر نفسه، إص1، 396/3.

[4]– ينظر: الأبطال، ترجمة محمد السباعي، 61.

[5]– ينظر: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، 113/1. والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، 492/6.

[6]– دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 660/2–661.

كما قرّر المستشرق "**بروكلمان**" أنّ هذا الشعر المنقول عن "أمية" هو شعر **منحول وغير صحيح** حيث قال: «أكثر ما رُوي من شعره [أي: شعر أمية] **منحول عليه**»[1].

– الطور الثاني: بعد تطور مناهج النقد الأدبي الحديث (كالمنهج التاريخي، والواقعي، والنفسي وغيرها)[2] ومع ظهور "نظرية التناص" في مقارنة النصوص ونقدها إلى الواجهة؛ ركب جملة من المستشرقين هذه الموجه، حين اتّجهوا إلى مقارنة نصوص بعينها من السيرة النبوية بأخرى في الكتب المنزلة السابقة أو حتى نصوص تتعلّق بالعصر الجاهلي عند العرب، خاصّة لَمّا عسر عليهم في المراحل السابقة إثبات المثاقفة (أو الإرث الثقافي) تاريخيا، مثل ما سبق بيانه عن "قصة بحيرا الراهب".

راح فريق من المستشرقين في هذه المرحلة يبحثون عن التعالق الموجود بين نصوص بعينها من القرآن أو السيرة وبين نصوصٍ في التوراة أو الإنجيل، خدمة لهدف واضح ومعلوم؛ ألا وهو إثبات بشرية القرآن، والتشكيك في ربانية القرآن والوحي، وعلى مستوى السيرة التشكيك في أصالة نصوص السيرة النبوية نفسها؛ فقالوا **مثلا**:

أ– أنّ قصة حياة النبي ﷺ نفسها مستوحاة من قصص الأنبياء السابقين قبله، وليس إلا نسجا على منوالها.

ب– كما توجّهوا إلى وقائع بعينها في السيرة النبوية وقالوا بأنها مستوحاة من قصص بعينها في الكتاب المقدس.

ج– بل ذهبوا أبعد من ذلك فقالوا بأنّ روايات السيرة النبوية ليست إلاّ ترديدا للقصص الشعبية عند العرب، واستيحاءً من أيام العرب وأساطير البطولة والفروسية في الجاهلية.

لكن يمكن القول أنّ تطبيقاتهم لهذا المنهج طرأ عليها تطور في طريقة تفعيله وعرضه، حيث تظهر عند المستشرقين المحدَثين نزعة التأثر الجلي بطريقة منهج التناص الجديد، الذي يعمل على المقارنة بين النصوص، ومحاولة إيجاد المقاربات والتعالقات بينها؛ من خلال البحث الحثيث عن تجليات النصّ الغائب [نصوص من الكتب السابقة (التوراة، أو الإنجيل) أو حتى أخبار العرب والقصص الشعبية] من خلال النص الماثل [نصوص السيرة].

– موقف بين الطورين: "مونتجمري وات" (1909–2006) من المستشرقين الذين يمكن اعتبارهم حلقة وصل بين المستشرقين في الطورين الأول والثاني، حيث تطرّق في كتابه "محمد ﷺ في مكة" إلى الطرح القديم للتناص عندما تحدث عن التناص بين القرآن والكتب السماوية السابقة؛ وأثار قضية المؤثر الثقافي التي سماها: المصادر البشرية لمعلوماته ﷺ –حسب تعبيره–[3].

كما ناقش قضية التناص من وجهة نظر معاصرة توافق الطرح الجديد لنظرية التناص؛ عندما أشار إلى التناص اللاواعي في كلامه عن الوحي[4]، وعندما راح يسرد مجموعة من نصوص القرآن ونصوص العهدين القديم والجديد التي ربطها بالتناص، لكنه ركز فيها على نصوص القرآن المتعلقة بقصص الأنبياء خاصة[5]، ولم يتوسّع في الكلام على التناص في نصوص محددة من السيرة النبوية كما فعل "بول" و"فنسنك" و"كارادو فو"، وإن كان يشير إليها أحيانا كما سيأتي في المحور الأخير عند مناقشة نماذج التناص.

---

[1]– تاريخ الأدب العربي، 113/1.

[2]– في هذه المرحلة كذلك اتّسع مجال التناص؛ فلم يقتصر على القرآن والتشريع، بل تعداه إلى نصوص السنة والسيرة، بعد التوجّه إلى التخصّص في الدراسات.

[3]– ينظر: محمد ﷺ في مكة، مونتجمري وات، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، 307–309 و311.

[4]– ينظر: المصدر نفسه، 168.

[5]– ينظر: المصدر نفسه، 168–170 وأيضا: 308–309 و311.

وعلى العموم تميّز موقف "مونتجمري وات" –حول الاستدلال بالتناصّ على عدم أصالة نصوص القرآن والسيرة النبوية– بالازدواجية تارة وبالتشويش والإيهام تارة أخرى؛ فهو في بعض المواضع لا يستبعد إمكانيته التناص المستلزم للمحاكاة والانتحال، ثم يستبعده في مواضع أخرى[1]، وأحيانا يرى إنهّ مجرّد تكرار لأحوال الأنبياء السابقين، حيث يقول مثلا: «وكانت فكرة الوحي والنبوة بالتأكيد أفكارا يهودية مسيحية، فأن نقول إن الله سبحانه يوحي كلماته من خلال محمد ﷺ ليس –على أية حال– إلا مجرد تكرار لما حدث فى الماضي»[2]؛ وكأنّه يريد أن يكون النبي ﷺ بدعا من الرسل؛ ولو كان كذلك؛ لَلَمزه بذلك، ويبدو أنّه يحاول بهذا الرأي التوسط بين الطرحين ؛ لكن مقولته تبدو أكثر تمويها وتشويشا من المواقف الأخرى الصريحة.

المحور الثالث: نماذج من قراءات المستشرقين التناصية لنصوص السيرة النبوية:

تختلف ملامح النماذج التي سأوردها في هذا العنصر من حيث دلالتها على التناص في نصوص السيرة النبوية عموما، أو دلالتها على التناص في نصوص محددة، لذا قسمت هذه الأمثلة حسب هاذين الملمحين.

أولا- التناص في نصوص محددة من السيرة النبوية:

- **النموذج [1]– دعوى التناص في قصة رضاعه ورعيه للغنم في بادية "بني سعد[3]"**: يرى المستشرق "**بول** - Buhl": أنّ واقعة **رضاع** النبي ﷺ **ورعيه للغنم** في بادية "**بني سعد**" تتناصّ مع **قصة الطفولة** الواردة في **الإنجيل**؛ حيث يقول: «**فإن القصة كلها إنّما هي من قبيل قصة الطفولة الواردة في الإنجيل؛ كان الباعث عليها كما يدل على ذلك سياق القصة أن كل نبي حق يجب أن يكون قد رعى الغنم مرة...**»[4].

عمد المستشرق "بول" إلى المقارنة بين نصّ قديم في "الإنجيل"[5] عن طفولة المسيح عيسى عليه السلام ونصّ في السيرة النبوية عن طفولة طفولة المصطفى؛ ثم زعم أنّ هناك توافقا بين النصّين، يدلّ –في نظره– على عدم أصالة النص الموجود في السيرة النبوية وأنّه منتحل من النص الوارد في الإنجيل.

هكذا قال المستشرق "بول" لكنّ مقارنة يسيرة للقصّتين بين ما ورد في مصادر السيرة النبوية، وما جاء في الإنجيل؛ تدلّك على أنّه لا يمكن أن يكون هناك تطابق بين القصتين؛ فإنّ النبي ﷺ رعى الغنم في بادية بني سعد وهو لا يجاوز الخمس سنين[6]، ثم رعاها رعاها في مكة في صغره وفي مطلع شبابه على سبيل الإجارة، وهذا الوصف حتما غير موجود فيما نقله "بول" عن الإنجيل[7].

---

[1]– ينظر: المصدر نفسه، 168-169 و308.

[2]– المصدر نفسه، 169.

[3]– **بنو سعد**: كانت منازلهم في جنوب شرق مدينة الطائف. ينظر: معجم قبائل العرب، عمر كحالة، 513/2، وأيضا: 84/1.

[4]– دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 59/8.

[5]– ينظر: الكتاب المقدس "العهد الجديد"، إنجيل لوقا [1/2-52]، 91.

[6]– ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، 90/1. والسيرة النبوية الصحيحة، العمري، 105/1.

[7]– ينظر: الكتاب المقدس "العهد الجديد"، إنجيل لوقا [1/2-52]، 91-93. يل إنّ كلّ مَن يطّلع على قصّة طفولة المسيح عليه السلام في "إنجيل النصارى" في هذا الموضع وغيره يدرك اختلافها التام بين طفولة النبي محمد ﷺ كما وردت في السيرة.

فقد جاء في حديث عتبةَ بن عبد السُّلميّ ﷺ عند أحمد وغيره: ذِكرُ رعي النبي ﷺ للغنم في بادية "بني سعد"[1]، كما رعى النبي ﷺ الغنم في مكة، فعن أبي هريرة ﷺ: أنّ النبي ﷺ قال: ((مَا **بَعَثَ** اللهُ نَبِيًّا **إِلاّ رَعَى الغَنَمَ**))، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: ((نَعَمْ، **كُنْتُ أَرْعَاهَا** عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ))[2].

ولو سلّمنا جدلا بوجود بشيء من التشابه بين القصَّتين (وهو تشابه جزئي)، فهذا إن ثبت لم يكن حجة؛ فلكلّ قصة شخصياتها وإطارها الزماني والمكاني، كما أنّ التشابه بين وقائع التاريخ موجود، ولا يعني ذلك نفي السابقِ منها للاّحق كما قرّر المستشرق "درمنغم"[3]، وسيأتي تفصيل ذلك في المحور الأخير من هذا البحث.

كما أنّ قواعد نظرية التناص الأدبية تقرّر أنّ التوافق بين النصوص لا يستلزم الانتحال دائما، بل قد يدلّ على التجديد والإضافة[4]؛ وبيان هذه النقطة مبسوط أيضا في المحور الأخير.

أما المستشرق "**بودلي**" فيختلف طرحه عن طرح المستشرق "بول" في هذه الحيثية؛ حيث يرى "بودلي" بأنّ هناك: تشابها يسيرا في بعض الجزئيات بين نشأة النبي ﷺ ونشأة المسيح عليه السلام؛ لكنه لا يرى فيه دلالة على الانتحال وعدم الأصالة[5] كما فعل "بول".

- **النموذج [2]: الزعم بأنّ قصة بيعة العقبة الثانية مستوحاة من قصة الحواريين في الإنجيل:** نسب المستشرق "**مونتجمري وات**" هذا الافتراض إلى الباحثين الغربيين إجمالا؛ فقال: «ويظن الباحثون الغربيون أن ما يتعلق بهؤلاء النقباء **موضوعٌ بعد ذلك لتشبيه** محمد ﷺ بموسى وعيسى عليهما السلام (فكما كان لكل منهما نقباء، فلم لا يكون لمحمد صلّى الله عليه وسلم نقباء أيضا؟!)»[6].

ومن المستشرقين الذين ذهبوا إلى هذا الافتراض: المستشرق "**فنسنك**-wensinck"؛ الذي يقول: «**فقد تواتر القول بأن مجموع من شهدها بلغ سبعين أو اثنين وسبعين شخصا، وجليّ أن هذه الأخبار تقيس في ذلك على الروايات الإنجيلية الخاصة بالحواريين السبعين أو الاثنين والسبعين (إنجيل لوقا، الإصحاح 10، آية 1– 17)**»[7].

---

[1]- ينظر: مسند **أحمد**، 195/29. ومستدرك **الحاكم**، 673/2. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

- **قصة إرضاع حليمة السعدية** له في بني سعد وما ظهر فيها البركة خبر مستفيض في كتب السيرة والتاريخ والدلائل؛ وجاءت بالتفصيل من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن جعفر ﷺ؛ أخرجها: **ابن إسحاق**، السير والمغازي، 48–50. و**البيهقي**، دلائل النبوة، 132/1–135. وقال الذهبي في "تاريخ الإسلام، 498/1": هذا حديث جيد الإسناد. وحسّنه العلي في "صحيح السيرة، 40".

[2]- أخرجه: **البخاري**، الصحيح (الفتح)، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، 557/4.

[3]- ينظر كتابه: "The life of Mohamet , X". ونص كلامه سيأتي في آخر مناقشة النموذج [2] الموالي.

[4]- ينظر: نظرية النص الأدبي، مرتاض، 203 إلى 209. وقد أورد أمثلة توضح ذلك مع التحليل والمناقشة. وأيضا: نظرية التنانص–صك جديد لعملة قديمة–، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75–جزء2/، 363، وفي: 359.

[5]- ينظر: الرسول: حياة محمد، المستشرق بودلي، 80.

[6]- محمد ﷺ في مكة، مونتجمري وات، 287.

[7]- دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 137/8.

اعتمد "فنسنك" وبعض المستشرقين الغربيين على التوافق الجزئي الموجود بين نصّ ورد في السيرة يتعلّق "ببيعة العقبة الثانية" قبيل الهجرة ونصّ في "الإنجيل"، يوافقه من حيث عدد المشاركين في البيعة؛ ثم اتّخذوا ذلك ذريعةً للقول بأنّ هذه الرواية الواردة في السيرة النبوية تأثّرت بالروايات النصرانية ونسجت على منوالها، لكن هذا الافتراض لا يستقيم لِما يلي:

أ)– لو أجرينا مقارنة يسيرة بين القصّتين لوجدنا اختلافا كبيرا بينهما من حيث: الظرف الزماني والمكاني الذي حصلتا فيه، وكذا في وقائع القصتين ومجريات أحداث كلّ منهما، بل حتى في مهام السبعين رجلا في القصتين؛ فبيعة العقبة كان المقصد منها البيعة على الطاعة والنصرة وما إلى ذلك مما سبق بيانه، أمّا مهامّ الإثني عشر والسبعين في "إنجيل لوقا" فكانت الدعوة والتبليغ في ظروف وأحوال مختلفة تماما عن قصة العقبة كما هو ظاهر من سياق القصّة في "إنجيل لوقا"[1]، وإنّما هناك تشابه طفيف بين القصتين في العدد فحسب.

ب)– وحتى التشابه السطحي في العدد ليس على إطلاقه؛ لأن أصحاب العقبة مختلَف في عددهم[2].

ج)– ثم متى كان وجود شيء من التشابه بين الوقائع التاريخية دليلا على بطلان أحدهما، بل على العكس من ذلك يمكن القول أنّ التشابه بين بعض وقائع التاريخ أحيانا –وهو تشابه جزئي غالبا– قد يكون دليلا على اعتضاد أحدهما بالآخر وتصديقه له، وهو ما يقرّره المستشرق "درمنغم–Dermenghem" عندما يقول: «فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة، **بدلاً من أن يؤيّد أحدهما الآخر؟!**»[3].

ويقول الشيخ أحمد شاكر في هذا المعنى: «... **فإن هذا لا يصلح دليلا على الشك في صحة ما ورد في التاريخ الإسلامي، والتاريخ تتشابه أحداثه؛ فلا ينفي المتقدم المتأخر، ولا ينفي المتأخر المتقدم**»[4].

وسيأتي مزيد تفصيل لهذه الجزئية في المحور الأخير من هذا المقال.

– النموذج [3]: دعوى اصطناع النبي ﷺ لفكرة نزول جبريل عليه السلام بالوحي عليه: في موقف آخر متأثّر بمنهج التناصّ بين ما ورد في السيرة النبوية وما في الإنجيل نجد المستشرق "**كارادە فو**-Carra De Vaux" يذهب إلى أنّ النبي ﷺ اقتبس اسم "جبريل" من خبر البشارة الوارد في الإنجيل وأطلقه على الملك الذي ينزل عليه بالوحي؛ حيث يقول: «**جبريل أشهر الملائكة عند المسلمين... وقد اصطنع النبي**[5] **القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء، واعتقد أنّه تلقى رسالته ووحيه منه**»، ثم يقول: «**وتذكر الرواية أنّ الوحي نزل أول ما نزل بِجبل حراء بالقرب من مكة، حيث قفل النبي راجعا والصوت يسترسل قائلا: ((يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل))، ولعل هذه الرواية إنّما أضيفت فيما بعد؛ وأنّ الذي أوحى**

---

[1]– ينظر: الكتاب المقدس "العهد الجديد"، إنجيل لوقا، 106–110.

[2]– ينظر: البداية والنهاية، 400/4.

[3]- The life of Mohamet , Dermenghem, X.

[4]– دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 486/5؛ في تعقيبه على مادة "تميم الداري".

[5]– نلمح في هذه العبارة المتهافتة للمستشرق أنّ طعنه في النبي الكريم ﷺ جاء بأسلوب مباشر، على غير عادة المستشرقين في العصر الحديث الذين يعتمدون في غالب ما يبثوه من مطاعن وشبهات على الأسلوب غير المباشر في طرح القضايا ومناقشتها، مع أنّه كان من الحري به أن يطرح الموضوع بعيدا عن تلك النزعات التشكيكية التي لا تصدر في الغالب إلاّ من عامة مَن لا يؤمنون برسالته ﷺ، وأيّ بحث علمي في التمثّل بحجج قد تجود بها ألسنة كلّ معاند مكذّبٍ من عامة الناس، فإنّه بهذا المنهج المباشر في الطعن لينأى حتى عن منهجية المستشرقين المحدَثين في الطرح، ويشاكل طريقة الرهبان والقساوسة في القرون الوسطى.

بها هو ما جاء في "إنجيل لوقا" (الإصحاح الأول، الفقرة 19)، حيث يقول الملك لزكريا: (أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا)...»[1].

يمكن تشريح هذه الفرضية -التي طرحها المستشرق- حسب نظرية التناص كما يلي:

أ- النص الماثل: من نصوص السيرة النبوية: ما جاء في حديث عبيد بن عمير الليثي؛ وفيه: «يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَ**أَنَا جِبْرِيلُ**»[2]؛ ونحوه في حديث عائ ﷺ بلفظ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا»[3].

ب- النص الغائب: في زعم "كارادو فو" هو النص الذي أورده من الإنجيل [19/ لوقا] في كلامه السابق.

هكذا حاول المستشرق الاستناد إلى التناص المفترض بين النصّين من أجل التشكيك في بعض وقائع السيرة.

لكن عند الرجوع إلى النصين والتأمل فيهما بإنصاف وموضوعية يتبيّن: أنّه لا يوجد تشابه وتطابق بين النص المذكور من الإنجيل (إنجيل لوقا)[4] وما جاء في نصوص السيرة؛ لأنّ الفرق واضح بين العبارتين من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ:

- أحاديث السيرة المذكورة في قصّة "بدء الوحي" **تتحدّث عن:** نزول "جبريل" عليه السلام بالوحي على النبي ﷺ أوّل مرّة، وإعلامه بأنّه "رسول الله" في مرّة أخرى.

- **بينما تتحدّث** قصّة الإنجيل: عن نزول جبريل ليبشّر زكريا عليه السلام بأنّه سيولد له مولود اسمه "يحيى"، كما تُبيّن الفقرات [11 و12 و13] قبل الفقرة [19] التي ذكرها "كارادو فو"، حيث جاء في هذه الفقرات: «فظهر له ملاك الرّبّ... فقال له الملاك: «لا تخف يا زكريا، لأنّ الله سمع دعاءك و**ستَلِد لك امرأتك اِبناً** تسمّيه "يوحنا"»[5]، ثم في الفقرات [18-19]: «فقال زكريا للملاك: كيف يكون هذا وأنا شيخ كبير، وامرأتي عجوز؟ فأجابه الملاك: **أنا جبرائيل** القائم في حضرة الله، وهو أرسلني لأكلّمك، و**أحمل** إليك هذه **البشرى**»[6].

ومع هذا الاختلاف والتباين بين العبارتين وبين أحداث كلّ قصّةٍ، فإنّه حتى مع وجود تشابه أو تطابق بين حادثتين تاريخيتين، فلا يعني ذلك بالضرورة إسقاط إحداهما كما قرّر المستشرق "درمنغم" وغيره من العلماء والباحثين المسلمين[7].

ثانيا- دعوى التناص العام في نصوص السيرة النبوية:

- **النموذج [4]: الزعم بأنّ السيرة النبوية مقتبسة من سير الأنبياء السابقين:** وهو الافتراض الذي سطره المستشرق "**ليفي دلافيدا** -della vida" في "دائرة المعارف الإسلامية" عندما قال: «يرجع أصل سيرة النبي إلى التحول الذي طرأ على شخصية محمد في ضمير المسلمين الديني، **وإلى الأثر الحاسم الذي أحدثته عناصر مختلفة بعينها في هذا التحول، وإلى شيء آخر**

---

[1]- دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 276/6-277.

[2]- أخرجه: **الطبري**، في تاريخه، 300/2. و**ابن هشام**، في السيرة، 235/1. وعبيد تابعي كبير ثقة وأبوه عمير صحابي، وقد حدّث به "عبيد" في حضرة الصحابي عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. وهو حديث مرسل صحيح الإسناد، كما ذكر: ابن حجر في "فتح الباري، 31/1"، والصوياني في "الصحيح من أحاديث السيرة، 35".

[3]- صحيح البخاري (الفتح)، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي، 441/12.

[4]- ينظر: الكتاب المقدس "العهد الجديد"، إنجيل لوقا [19/1]، 88.

[5]- المصدر نفسه، إنجيل لوقا [11/1-13]، 88.

[6]- المصدر نفسه، إنجيل لوقا [18/1-19]، 88.

[7]- سبق إيراد كلام المستشرق "درمنغم" وكلام الإمام أحمد شاكر في النموذج السابق [2] من هذا البحث، فأغنى عن الإعادة.

فوق هذا كله، وهو أن احتكاك المسلمين باليهودية والمسيحية ورغبتهم في أن يضعوا منشئ الإسلام في كفة منشئ هذين الدينين، قد شجّعاهم على وضع تلك القصص التي حاطوا بها شخص النبي، والتي أحدثت هذا التحول الشامل في طبيعة شخصيته من مولده (بل قبل مولده) إلى وفاته وبدلتها تبديلا...

وغدت حياته أشبه بنسخة من حياة موسى وعيسى... وحسبنا أن نذكر في هذا الصدد أن شبرنكر (Sprenger)**، قال منذ أمد طويل بوجود شبهة في أنّ تكون السيرة قد تأثرت بالسنن اليهودية والمسيحية»**[1].

أمّا المستشرق "**مونتجمري وات**" فيعزو القول بفرضيّة المحاكاة بين سيرة النبي ﷺ وسير الأنبياء السابقين **إلى عامة الباحثين الغربيين** –عند كلامه على حادثة "بيعة العقبة" قبيل الهجرة– فيقول: «ويظن الباحثون الغربيون أن ما يتعلق بهؤلاء النقباء موضوع بعد ذلك لتشبيه محمد ﷺ بموسى وعيسى عليهما السلام»؛ لكنه بعد ذلك يستبعد فرضية المحاكاة بين نصوص السيرة ونصوص التوراة أو الإنجيل في هذا الموضع[2]، ومع هذا لا يستبعدها في مواضع أخرى[3].

لقد عمد المستشرق "دلافيدا" في نصه السابق إلى التشكيك في أصالة السيرة النبوية؛ وفق منهجية "الأثر والتأثر" التي تلتقي مع نظرية التناصّ في عامل "المؤثر الثقافي" الذي يدخل في تركيبة النص ونسجه حسب النظرية.

فزعم أنّ المسلمين استوحوا سيرة النبي ﷺ من سير موسى وعيسى عليهما السلام، من أجل تعظيم مُنشِئ الإسلام، ووضعه في مرتبة عليا، بيد أنّ الواقع التاريخي لتفاصيل سير محمد وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام يبيّن مدى الفرق الكبير بين قصص حياتهم، ومدى البون الشاسع بين سيرة حياة كل واحد منهم، فلكلّ نبيٍّ تفاصيل نشأة ومسيرة حياة دعوية تختلف عن الأخرى، من حيث البيئة والزمن والأهداف والإنجازات المحقّقة، هذا فيما يختصّ بمسيرة حياتهم الإيمانية والدعوية.

- **من خصائص السيرة النبوية عن سير الأنبياء السابقين:** سيرة النبي ﷺ حلقة من سلسلة النبوات والرسالات، لكن مع اشتراكها في خصائص النبوات والرسالات لها مميّزاتها وسماتها الخاصة، ومنها **على سبيل المثال** لا الحصر:

أ)– الصحة والأصالة: فما وصلنا من سيرة النبيّ ﷺ يمكن اعتباره أصح سيرةٍ لتاريخ نبيّ مرسل، أو عظيم مصلح؛ فقد وصلت إلينا سيرة رسول الله ﷺ من أصح الطرق العلمية وأقواها ثبوتا، مما لا يترك مجالا للشك في وقائعها البارزة وأحداثها الكبرى[4].

في الوقت الذي نجد فيه وقائع سيرة **موسى** عليه السلام اختلط الصحيح فيها بِما أدخل عليها اليهود من زيف وتحريف؛ وقد أخذ كثير من النقاد الغربيين يشكّون في بعض أسفار التوراة [5]، فمثلا: نجد مؤلفي "دائرة المعارف البريطانية" من الغربيين أنفسهم توصلوا إلى تحقيق أنّ هذه الأسفار دونت وجمعت بعد موسى عليه السلام بقرون كثيرة، من غير أن يعرف كاتبها؛ وهذا وحده كاف للتشكيك في صحة سيرة موسى عليه السلام كما وردت في التوراة[6]، ولك أن تُراجع مادة "Bible" من "دائرة المعارف البريطانية" باللغة الإنجليزية[7].

---

[1]– دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 12/446-447.

[2]– ينظر: محمد ﷺ في مكة، مونتجمري وات، 287-288.

[3]– تراجع الفقرة الأخيرة من المحور السابق؛ حيث ذكرت بالتفصيل موافق المستشرق "وات" المختلفة في هذه النقطة.

[4]– ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، 13.

[5]– ينظر: المصدر نفسه، 14.

[6]– ينظر: الرسالة المحمدية، سليمان الندوي، 45.

[7]– ينظر: The Encyclopaedia Britannica , 3/849-894 .

ومثل ذلك يقال في **سيرة** نبي الله **عيسى** عليه السلام، فهذه الأناجيل المعترف بها رسميا لدى الكنائس المسيحية إنما أقرت في عهد متأخر عن السيد المسيح بمئات السنين؛ حتّى أنّ الأناجيل الأربعة التي اقتصروا عليها لم يلق أحد من الذين جمعوها عيسى عليه السلام، وإذا تساءلنا: عمّن رووا هذه الأناجيل؟ نجد التاريخ يجهل ذلك كلّ الجهل[1].

ثم إن نسبة هذه الأناجيل لكاتبيها لم يثبت عن طريق علمي تطمئن النفس إليه، فهي لم ترو بسند متصل إلى كاتبيها، كما أن الخلاف وقع بين النقاد الغربيين أيضا في أسماء بعض هؤلاء الكاتبين ؟ وفي أي عصر كانوا؟[2]

والأدهى أنه لا يعلم يقينا اللغة التي كتبت بها هذه الأناجيل في الأصل، وفي أيّ زمان كتبت[3].

فإذا عُرف هذا وعُلم أنّ القرآن الكريم سجّل جوانب هامة ومختلفة من سيرته ﷺ، وهو كتاب دوّن بين يدي رسول الله ﷺ، ونقل بطريق التواتر حفظا وكتابة جيلا بعد جيل.

كما أنّ تدوين سيرة النبي ﷺ كانت بين يدي أصحابه رضي الله عنهم وهم شهود العيان على سيرته، ونقلة هديه وشمائله وأحواله، وأن المحدثين كانوا في طليعة من تولّى تدوينها ونقلها، كما وضعوا أدقّ قواعد النقل والنقد التاريخي للمرويات، من أجل نقل سنة وسيرة النبي ﷺ صافية صحيحة، وصيانتها عن العناصر الدخيلة ؛ حيث تَهيأ لَها «جهابذة المحدثين من طبقة التابعين وتلاميذهم لكتابتها في وقت مبكر؛ مستقين أخبارها من الصحابة الذين كانوا شهود عيان ومشاركين في الأحداث، فلم يقع انقطاع بين الأحداث والتدوين يؤدي إلى الضياع أو التحريف»[4].

والمسلم ليس أمامه أن يؤمن بشيء من صحة سيرته إلا بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة[5].

فإذا علم هذا تبين مدى البون الشاسع بين سيرة المصطفى ﷺ وسيرة النبيين الكريمين موسى وعيسى عليهما السلام في الصحة وأصالة المادة التاريخية.

ب)– الواقعية: تصوّر لنا روايات السيرةِ النبِيَّ محمداً ﷺ على أنّه كان واقعيا بعيدا عن الخيال، وكان إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه، وذلك في دعوته، وهجرته وحروبه، وفي جلّ أحوال حياته ومسيرة رسالته؛ لأنّ الإسلام دين المنطق والعقل، ومعجزته الخالدة هي أنه دين الفطرة السليمة[6].

أمّا ما جاء في سيرة المصطفى ﷺ من إثبات الوحي والمعجزات النبوية، فالرسول محمد ﷺ ليس في ذلك بدعا من الرسل قبله، فقد تلقى الوحي وجعل الله له معجزات حسية كما كان لهم أيضا معجزات حسيّة.

ج)– البشرية: سيرة الرسول ﷺ تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة؛ فلم تخرجه عن إنسانيته، ولم تغرق حياته بالأساطير، ولم تضف عليه الألوهية قليلا ولا كثيرا، كما حصل عند المسيحيين مع نبيهم عيسى عليه السلام[7].

---

[1]– ينظر: الرسالة المحمدية، 46. والتوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، 18.

[2]– السيرة النبوية دروس وعبر، السباعي، 14-15.

[3]– ينظر: الرسالة المحمدية، 46.

[4]– السيرة النبوية الصحيحة، العمري، 44/1.

[5]– ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، 14.

[6]– ينظر: الرسول القائد، محمود شيت خطاب، 6.

[7]– ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، 16-17.

وهي خاصية أقرّ بها المستشرق "**درمنغم**"؛ الذي بيّن أنّ ما يفهمه كلّ منصف –متجردٍ عن الأهواء– عندما يقرأ السيرة النبوية، هو أن يَخرج بتصوّر عام ونتيجة لا يمكن أن يرى معها النبيَّ ﷺ إلاّ أنّه رسول من الله تعالى، وليس إلهاً، ولا ملِكاً من الملوك؛ إلى أن قال: «ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه **لم يغتر بشيء من هذا كله**»[1].

– كما لاحظ المستشرق "**بودلي**" **فرقاً بين سيرة النبي وسيرة المسيح عيسى** عليهما الصلاة والسلام: من خلال الوضوح والغموض الذي يكتنف كلا السيرتين عند أتباعهما، وسجل ذلك في قوله: «إنّ البدو الذين عشت معهم في الصحراء لا يتحدثون عن محمد كما يتحدثون عن شخص غامض بعيد عنهم، كما يتحدث المسيحيون عن المسيح؛ وإن المرء لا يجد ذلك الغموض»؛ ثم يعلّل ذلك الوضوح بقوله «إنّ العرب يتحدثون عن مؤسس دينهم كما يتحدثون عن شخص يعرفونه؛ كان راعيا، وقد ارتدى نفس الثياب التي يلبسونها، وقد امتطى إبلا كما يفعلون... لقد كان محمد بالنسبة لهؤلاء البدو حيا كأيّ فرد منهم»[2].

- النموذج [5]: أثر القصص الشعبية[3] والأساطير وأيام العرب في نصوص السيرة:

أ)– نظرية النصوص المؤثرة في تكوين روايات السيرة النبوية ونصوصها عند المستشرق "**ليفي دلافيدا**" تتعدّى نصوص الكتابين السابقين إلى القصص والأساطير؛ حيث يقول: «**والظاهر أن تكوين السيرة حتى عند تصنيفها في صورتِها المعتمدة قد مرّ بالخطوات الآتية: أدى توقير المسلمين المطرد لشخص النبي إلى نمو أسطورة حول شخصيته... واجتمع حول هذه الأسطورة إلى جانب الروايات التاريخية التي يتفاوت حظها من التحريف، قصص نسجت على منوال القصص الدينية اليهودية أو الْمسيحية (وربّما الإيرانية أيضا)... ثم رتّبت هذه المادة واتّخذت لَها القواعد والمناهج على يد مدارس الْمحدّثين في المدينة**»؛ ثم يقول: «**لقد كان القصّاص، أولئك الرواة المحترفون للقصص، الذين انتشروا في أرجاء العالم الإسلامي بعد الفتوح العربية... هم أول من ألّف وأذاع عن حياة النبي القصص التي صنفوها فيما يُرجح على منوال تلك الأساطير**»[4].

يعتبر المستشرق "دلافيدا" مادة القصص والأساطير الدينية والشعبية من العوامل الثقافية المؤثرة في تكوين نصوص السيرة النبوية ورواياتها، ويرى بأنها منسوجة منوالها؛ على خلفية التناص الذي قد يرد بينها وبين روايات السيرة النبوية في بعض الجزئيات.

لكن هذا الإطلاق العام لا يعكس إلاّ جانبا ضئيلا من الحقيقية التاريخية لروايات السيرة ونصوصها.

ذلك أنّ مادة القصص والأساطير (وهي من روايات الأخباريين[5] والقصاص الضعفاء) وإن كانت موجودة ضمن روايات ونصوص السيرة النبوية –وهي تمثل مواطن الضعف المعروفة فيها–؛ فإنه ينبغي التفريق بينها وبين مواطن القوّة؛ المتمثلة في روايات المحدّثين والمؤرخين الثقات الموثّقة بأقوى طرق النقل التاريخي.

---

[1]- The life of Mohamet , Emile Dermenghem, 322.

[2]– الرسول: حياة محمد، المستشرق بودلي، 13.

[3]– **القصص الشعبية**: هي تلك الروايات التي يتداولها الناس في مجتمع ما، وقد تكون حكايات واقعية، أو مجرد أساطير من نسج الخيال. ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، 320/1. ونشأة علم التاريخ عند العرب، الدوري، 30–33، 123 و125.

[4]– دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 449/12.

[5]– "**الأخباري**": هو من يشتغل بالتواريخ ورواية الأخبار، مهما كانت صفتها وطبيعتها، كما سُمّي من يشتغل بالسنّة النبوية "**بالمحدث**" لتمييزه عن الأخباري. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، 631/1. والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، 115/1.

فقد كان الرواد الأوائل في كتابة السيرة النبوية من ثقات المحدثين وأعلامهم؛ بداية من طبقة الصحابة: كابن عباس ﷺ، وسعيد بن سعد بن عبادة ﷺ، ثم التابعين ومن أبرزهم: عروة بن الزبير، وأبان بن عثمان، وغيرهم.

يقول عبد العزيز الدوري: «بدأت دراسة مغازي الرسول في المدينة ضمن دراسة الحديث... وكان رواد دراسة المغازي محدثين»[1]؛ ومعلوم أنّ **مدرسة المحدثين** اهتمت بجمع وتصحيح الرواية سنداً ومتناً.

فنجد الإمام المحدث "**ابن شهاب الزهري**" –وهو من الرواد الأوائل في السيرة– اعتمد في أخذ جلّ مواده عن السيرة من الحديث، ولا نجد إلاّ أثراً بسيطا للقصص فيما كتب، كما كان بعيدا عن أسلوب الأيام في كتابه، وقام منهجه على إسناد رواياته، خاصة أنّه اشتهر بقوة إسناده[2].

كما أنّ أعمال **عروة بن الزبير** و**أبان بن عثمان** في هذا المجال «تدلّ على أنّ خطوط السيرة وضعت في القرن الأول الهجري، ولم يكن واضعوها من القصاص مثل: وهب بن منبه، **بل كانوا محدّثين**... أمّا القصاص الذين طوّروا القصص الشعبي، وأخذوا من الإسرائيليات في قصصهم فإنّ أثرهم يظهر بعد جيل الزهري»[3].

وكذلك كان المحدثون هم الرواد في كتابة السيرة في الطبقات والقرون التالية، ومنهم مثلا: موسى بن عقبة، ومعمر بن راشد، ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وبهذا يُعلم الخطأ العلمي والتاريخيّ الذي وقع فيه المستشرق "دلافيدا" عندما جعل بداية السيرة مقترنة بأخبار نسجها القصاص وغيرهم، ثم جاء المحدّثون بعد ذلك ووضعوا لتلك الأخبار ترتيبا وقوانين، لكنّ واقع نشأة علم السيرة في القرنين الهجريين الأول والثاني وما بعدهما يردّ هذا الزعم من أساسه، ويؤكّد أنّ المحدّثين من التابعين إنّما نقلوا أخبار السيرة عن الصحابة الذين عاصروا النبوّة، وكانوا شهود العيان على سيرة المصطفى ﷺ.

وإذا كانت مصادر روايات المحدثين هم الرواة الثقات المعروفة أحوالهم وأحوال مروياتهم، فإنّ مصادر الأخباريين في الغالب: هي الروايات الإسرائيلية والنصرانية، أو القصص الشعبية، كما تشتمل رواياتهم على كثير من: المادة الأسطورية، والأخبار المنافية للعقل والمنطق[4]، ولا تكون موّثقة بالأسانيد غالبا[5].

وعن طريق الأخباريين دخلت هذه المواد الدخيلة إلى السيرة النبوية، ونقلها بعض المصنّفين عنهم دون تمحيص ونقد، بيد أنّ المحدثين ما فتئوا يضعفون هذه الروايات ولا يعتبرونها محل الثقة والاحتجاج، إلاّ ما كان منها مستندا إلى ما يعضده ويقويه[6].

ورغم تطرّق شيء من روايات القصاص والأخبار الضعيفة إلى كتب السيرة، فلا يمكن أن تكون سببا للتشكيك في أصالة السيرة، وفي قيمتها العلمية والتاريخيّة الموثّقة؛ لأنّها كانت محلّ النقد والتمييز من قبل المؤرخين والمحدّثين النقاد؛ ومناهجهم النقدية

---

[1]– نشأة علم التاريخ، الدوري، 23.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، 27–28.

[3]– المصدر نفسه، 29.

[4]– ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 113/1–114. ونشأة علم التاريخ عند العرب، 30، 32 و36.

[5]– ينظر: نشأة علم التاريخ، الدوري، 30 و33 و40. وسير أعلام النبلاء، 545/4. ومن أمثلة ذلك في: سيرة ابن هشام، 245/1 و169/2.

[6]– ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 113/1–114. ومنهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، 127. وسير أعلام النبلاء، الذهبي، 462/9.

واضحة، وأساليبهم جدية بعيدة عن المبالغة والحشو والخيال[1].

يقول المؤرّخ جواد علي: «ومهما قالوه في نسبة التاريخ الصحيح في سيرة الرسول، فإن سيرة الرسول ﷺ هي أوضح وأطول سيرة نعرفها بين سير جميع الرسل والأنبياء»[2]، وهي أكثر السير واقعية، وأكثرها ملامسة للمثل العليا مجسدة في أقوال وأعمال ومواقف تمثل الأسوة الحسنة للبشرية في كلّ زمان ومكان.

ب)– أما **المغازي النبوية** فهي عند المستشرق "**ليفي دلافيدا**" تتناصّ مع قصص **أيام العرب** والفروسية في الجاهلية؛ وهو ما عبّر عنه في قوله: «... **فليست هذه المغازي إلا استمرارا أو تطورا لأيام العرب... وهما يشتركان في ذلك الأسلوب العذب المرسل على السجية**»[3].

وإذا كان المستشرق "دلافيدا" يركّز في طرحه على التنّاص في الشكلِ العذبِ المسترسلِ لنصوصها، فإنّه يُغفل بذلك المضمون المختلف كلّ الاختلاف؛ فإن المتأمّل في نصوص السيرة: يشهد على الفوارق الكبيرة جداً بين الغزوات النبوية وأيام الجاهلية في: الحقيقة والأهداف، والكيفية والنتائج، وما إلى ذلك من الحيثيات الكثيرة، التي يصعب حصرها وبسطها في هذه العجالة؛ فكان جهاد النبي ﷺ لنشر رسالة الإسلام[4]؛ وبناء مجتمع يعمل على سمو الروح، والتكافل بين الناس[5]؛ بينما كانت تقوم الحروب في الجاهلية لأتفه الأسباب أحيانا، مثلما قامت الحروب بين الأوس والخزرج في الجاهلية وهم أبناء عمّ، حتّى ألّف الإسلام بينهم[6].

والفوارق واضحة حتى على مستوى الاستراتيجية العسكرية والخطط الحربية؛ كما كانت ترعى مسيرته العناية الإلهية ويحوطها التوفيق الرباني، وهو ما لا نعلم عنه في أيام العرب وحروب الجاهلية، إضافة إلى تَميّزها بصفات الحرب الفاضلة على المستوى الأخلاقي والمعنوي.

وفي المحور الموالي زيادة تحليل ومناقشة للنماذج الخمسة المذكورة عن قراءات المستشرقين التناصية للسيرة.

المحور الرابع : التناص لا يقتضي التشكيك في الأصالة :

لا يفوتني أنّ **أنبّه** في هذا المقام إلى أنّ مناهج النقد الأدبية –ومنها منهج التناص– تهدف إلى استجلاء الملامح الجمالية في النص، وإلى تحليله وتفسيره، كما تبحث في أصالته[7]، وقد أعمل المستشرقون هذه المناهج في تفسير النصوص الإسلامية وتحليلها ومناقشة أصالتها، كما أعملوها في تفسير الخطابات الدينية الغربية[8].

---

[1]– ينظر: نشأة علم التاريخ، الدوري، 13. والسيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري، 44/1.

[2]– تاريخ العرب في الإسلام، 11.

[3]– دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 440/12-445.

[4]– ينظر: فقه السيرة، منير الغضبان، 392-395.

[5]– ينظر: السيرة النبوية، السباعي، 117.

[6]– ينظر: السيرة النبوية، أبو شهبة، 93/1.

[7]– ينظر: في الأدب والنقد ، محمد مندور، 90 و95. ومناهج النقد الأدبي، أندرسون إنبرت، ترجمة الطاهر مكي، 33 و54-57.

– وتعود **جذور المناهج النقدية الحديثة إلى**: فلسفات ديكارت وكانط وهيجل، والرومنسية والماركسية والوجودية. ينظر: النقد الأدبي الحديث، هلال، 284-302 و308-324. وفي الأدب والنقد، مندور، 16.

[8]– **فمثلا:** بيّن المستشرق "رودي بارت" إعمال المستشرقين للمنهج التاريخي في نقد وقراءة نصوص التاريخ الإسلامي. ينظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: رودي بارت: 15-16.

أما نظرية التناص في ميدان النقد الأدبي المعاصر تهدف إلى تشريح النص وتحليل عباراته ومعرفة تفاعلاته المختلفة وفق هذه الآلية، للوصول إلى استمداداته وتداخلاته مع نصوص أخرى سابقة أو لاحقة.

فسعي نظرية التناص إلى تحديد التقارض والتشابه بين النصوص ليس من أجل الحكم عليها إن كانت منحولة عنها فحسب[1]؛ لأنّ التناصّ الأدبي لا يعبّر عن الاجترارا دائما، بل كثيرا ما يكتسي ثوب التجديد؛ فيظهر النصوص القديمة بحلة جديدة كانت خافية، أو لم يكن من الممكن رؤيتها لولا التناص[2].

وبالتالي فإنّ التشابه وإن كان يلفت النظر إلى إشكال أو إضافةً جديدة؛ فهو لا يستلزم النقل والانتحال وعدم الأصالة دائما.

فمثلا يرى الناقد الأدبي "مارك أنجينو" إلى أن التناص بين النصوص لا يعني النقض بالضرورة، بينها يستدعي التعايش بينها، حيث يقول: «إنّ كلّ نص **يتعايش** بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى يتجذر منذ ذلك في تناص؛ وإنّ الكلمة هي بالتالي ملك لكل الناس»[3].

كما أنّ اتفاق شاعرين أو كاتبين على معنى واحد أو صورة واحد أو متقاربة في نصيهما، لا يعني بالضرورة أخذ اللاحق عن السابق منهما؛ ذلك أنّ مجرد التشابه والتوافق بين نصّين أو أكثر لا يكفي في إثبات أنه منحول منه؛ وهو الأمر الذي لاحظه وسجلّه جملة من النقاد الأدبيين العرب والغربيين القدامى والمحدَثين "كالجرجاني" و"عبد الملك مرتاض" و"رولان بارت" و"أنجينو" وغيرهم[4].

هذا واقع المنهج التناصّي في قراءات النقاد الأدبيين حول قضية الأصالة والانتحال؛ فما هو واقع منهج القراءات التناصّية عند المستشرقين؟ هل جعلوا من التناص بعدا جديدا في سبر أغوار النص ومعرفة أبعاده الجمالية والتجديدية؟ أم أنّهم جعلوا كل تناصّ يعبّر عن السرقة المعرفية ويدلّ على الانتحال وعدم الأصالة؟

جواب هذه التساؤلات مرّ مفصّلا في نماذج القراءات التناصية التي قدّمها فريق من المستشرقين لجملة من نصوص السيرة النبوية؛ التي يتبيّن من خلالِها ما يلي:

الملاحظ أنّ فريقا من المستشرقين وظفوا هذه الآلية (منهج التناص) في ضرب أصالة روايات السيرة النبوية ونصوصها أو توهين الثقة بها على الأقل؛ وبذلك جعل المستشرقون هذا المنهج معول هدم في قراءاتهم لنصوص السيرة النبوية العطرة، عوض أن يعملوه في معرفة أبعاد النص الجمالية والتجديدية، ويعتبروا أنّ هذا التناص أو ذاك في سيرة النبي محمد وسير غيره من الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– فيه دلالة على وحدة مصدر أديانهم، وأنّ الرعاية الربانية التي احتفت بمسيرة حياة كلّ منهم واحدة كذلك؛ كما فهم قلة من المستشرقين المنصفين.

---

[1]– ينظر: التناصية، مارك أنجينو، ضمن: دراسات في النص والتناصيّة، ترجمة محمد خير البقاعي، 69–72. ونظرية التنانص–صك جديد لعملة قديمة–، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75–جزء2/، 347–348.

[2]– ينظر: نظرية التنانص–صك جديد لعملة قديمة–، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75–جزء2/، 362. وهناك أمثلة تطبيقية توضّح ذلك في: 336–338.

[3]– ينظر: التناصية، مارك أنجينو، ضمن: دراسات في النص والتناصيّة، ترجمة محمد خير البقاعي، 58.

[4]– ينظر: نظرية النص الأدبي، مرتاض، 203 إلى 209. وقد أورد أمثلة توضح ذلك مع التحليل والنقد. وأيضا: نظرية التنانص–صك جديد لعملة قديمة–، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75–جزء2/، 363، وفي: 359.

فمنهج التناصّ الذي مارسه المستشرقون –في النماذج السابقة– ينطلق فيه المستشرق من النص الماثل [من نصوص السيرة النبوية] ويقارنه بالنص المتخيَّل [نصوص الكتب السماوية السابقة وقصص العرب]؛ ويتشبّث به ليصبح موجودا؛ ثُم يستنتج أنّ نصوص السيرة اللاحقة منتحلة من نصوص سابقة؛ سواء كانت عند اليهود أو النصارى أو الفرس أو العرب.

رأينا هذا المنهج ماثلا في: النماذج الخمسة السابقة كلها.

لكن يُستدرك على هذا الطرح أنّ التشابه موجود في حوادث التاريخ، ولا يعني ذلك نفيَ السابقِ منها للاّحق ولا العكس، بل يمكن القول أنّ التشابه بين بعض وقائع التاريخ أحيانا –وهو تشابه جزئي غالبا– قد يكون دليلا على اعتضاد أحدهما بالآخر وتصديقه له، كما قرّر المستشرق "درمنغم" في قوله: «فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة، **بدلاً من أن يؤيّد أحدهما الآخر؟!**»[1].

ويقول الشيخ أحمد شاكر في هذا السياق: «... **فإن هذا لا يصلح دليلا على الشك في صحة ما ورد في التاريخ الإسلامي، والتاريخ تتشابه أحداثه؛ فلا ينفي المتقدم المتأخر، ولا ينفي المتأخر المتقدم**»[2].

فهذه النصوص ليست أوراق أشجار –بل إنّ أوراق الأشجار لا يصدق عليها هذا التطابق[3]– وحتى لو اعتبرناها أوراق أشجار جدلا؛ فالتشابه بينها قد يدلّ على وحدة مصدرها وهي كونها من شجرة واحدة، أو منبع واحد.

وقد تبيّن من قواعد نظرية التناص الأدبية أنّ **التناص لا يستلزم الانتحال وعدم الأصالة دائما، بل قد يدلّ على التجديد والإضافة؛ وكذلك جاء الإسلام مصحّحا للأديان السابقة ومجدّدا** للدين القيم المشترك بين تلك الأديان.

وكذلك سيكون في سيرة النبي الكريم تشابه مع سير غيره من الأنبياء في تلقي الوحي والرعاية الربانية والاتصال بالملائكة والتأييد بالمعجزات ونحو ذلك؛ كما سيكون فيها خصائص وجديد تتميّز به عن غيرها كما سبق تفصيله في مناقشة النموذج [4].

-ملحظ هام: حول الازدواجية في طرح التناص: كثيرا ما يحاول فريق من المستشرقين إبراز التناص في مواضع مختارة لأهداف مسطرة سلفا، في حين يُغفِلون مواضع التناصّ التي جاءت مبينةً في القرآن الكريم والسيرة النبوية في مواضع كثيرة –من غير ما خفاء–؛ لدلالتها على أنّ دعوة النبي ﷺ جاءت مصدّقة ومصحّحة ومجدّدة لما اندثر من دعوات الأنبياء السابقين، كما أنّ عيسى عليه السلام جاء مصدقا وموافقا لِما جاءت به التوراة من العقائد والمبادئ، وتصحيح ما أفسده الناس منها، مع أحكام وتشريعات جديدة؛ كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 46]؛ وبعد ذلك جاء ذكر النبي محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

كما لم تُخف نصوص السنة والسيرة النبوية أنّ الإسلام شرع حد الرجم للزاني المحصن كما هو مشرّع في التوراة[4]، فلا جرم أن يكون هناك تناص وتوافق بين الشريعتين في هذا الحكم، لأن الأديان السماوية التي جاء بها الأنبياء تتوافق؛ وإنّما يدلّ هذا التوافق على تصديق ما جاء به النبي لما قبله، وتصديق ما قبله لما جاء به.

---

[1]- The life of Mohamet , Dermenghem, X.

[2]– دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 486/5؛ في تعقيبه على مادة "تميم الداري".

[3]– ينظر: في الأدب والنقد، محمد مندور، 39.

[4]– يراجع نص الحديث في: صحيح **البخاري** (مع الفتح)، 770/6. وصحيح **مسلم** (مع النووي)، 296/11.

وهو الأمر الذي يقرّره كل عارف بتاريخ الأنبياء والأديان وأصولها وتشريعاتها؛ لذا نجد المستشرق "**هينريش سونر**" يؤكّد هذه الحقيقة في قوله: «**وقد بُعث محمد ﷺ ليصحّح الأخطاء التي وقع فيها أصحاب الديانتين السابقتين (أهل الكتاب) فهو بمثابة ناصح ومصحّح... ومن هنا لا نجد غرابة في وجود تشابه بين القرآن والكتب السابقة عليه...**»[1].

وإذا كانت دعوات الأنبياء تتوافق وتتشابه في كثير من الأمور من باب التصديق، فإنّها في الوقت نفسه تخالفها وتتميّز عنها في أمور كثيرة ليس من باب التكذيب بل من باب التصحيح والتجديد؛ وإنّما يدلّ ذلك وحدة المصدر الإلهي لهذه الدعوات النبوية والرسالات السماوية[2].

من أجل ما سبق نلاحظ **ازدواجية في طرح المستشرقين** الذين يعتمدون على التناص للتشكيك في أصالة نصوص السيرة النبوية ورواياتها؛ حين يركّزون على إبراز **التناص الموافق**، ويضربون صفعا عن **التناص المعارض** المصحّح والمهيمن، مع كثرته وتنوعه.

- **خطر التعميم في دعوى التناص**: أما (النموذج [5]) الذي يزعم فيه المستشرق "دلافيدا" وجود تناص بين نصوص السيرة النبوية والقصص والأساطير وأيام العرب؛ ليجعل من ذلك ذريعة للطعن في أصالة روايات السيرة ونصوصها؛ فهو من التعميم الأعمى، الذي ينطلق فيه من جزئية محدودة ثم يجعل لها حكم الغالب الأعم.

وكذلك وقع في هذا التعميم المستشرق "بول" (النموذج [1]) في دعوى نسج قصةّ رضاعه ﷺ ورعيه للغنم من قصة طفولة المسيح في "الإنجيل"، مع أنّ التشابه الجزئي بين القصتين لا يحتمل ذلك التعميم في دعوى التوافق، وهكذا مع "فنسنك" في قصّة بيعة العقبة (النموذج [2])، ثم المستشرق "كارادة فو" في: حادثة نزول الوحي (النموذج [3])؛ على ما هو مفصّل في المناذج المذكورة في المحور السابق.

إنّ تعميم **التوافق** لا يعكس غالبا إلاّ ذلك التهافت المعهود عن جملة من المسشترقين في إخضاع النصوص والمناهج لتقريرات تخدم أهدافا استشراقية مسطرة مسبقا، حتى ولو كان ذلك بتحميل النصوص ما لا تحتمله من المعنى والمقاصد، وببتر النصوص وعزلها عن سياقاتها الموضحة لها.

«محاولين إلباسها إياه؛ حتى ولو تمزّقت من حور أو ضاقت عنه؛ بتحميل النص ما يطيق وما لا يطيق»[3].

لذا كان على الناقد الذي يسجّل التناص بين النصوص أن يكون دقيقا وأمينا في تحديد مدى التشابه والتوافق بين تلك النصوص، هل هو حقيقي أم لا؟ هل هو سطحي أم شكلي؟ هل هناك توافق تام أم جزئي؟ وهكذا.

كما أنّ ممارسة التعميم في توظيف المناهج النقدية لقراءة النصوص من المحاذير التي نبه عليها بعض النقاد الأدبيين؛ واعتبروه من المزالق التي كثيرا ما توقع النقاد في الخطأ والزيف[4].

[1]- دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 10235/32-10236.
[2]- ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، العمري، 574/2-575.
[3]- ينظر: في الأدب والنقد، محمد مندور، 393.
[4]- ينظر: المصدر نفسه، 14.

- **خاتمة:**

بعد عرض محاور هذا الموضوع يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1- منهج "التّناصّ" حاضر في قراءات المستشرقين لنصوص السيرة النبوية؛ حيث حاول بعض المستشرقين التشكيك في أصالة الروايات الصحيحة للسيرة النبوية بدعوى تناصّها مع نصوص الكتب المقدسة السابقة، في حين أنكر مستشرقون آخرون أن يكون هذا التناص -لو سلّمنا بوجوده- مدعاة للتشكيك في أصالتها أو الزعم بانتحالها؛ كما فعل "درمنغم" و"مونتجمري وات" و"بودلي" و"هينريش" وغيرهم، مع ملاحظة أنّ بعضهم قد يقرّ بالتناص العام في مواطن أخرى تتعلّق بالقرآن والتشريع، كما هو الحال مع "وات".

2- دعوى **التناصّ** بين بعض أحداث السيرة النبوية وما جاء في الإنجيل وغيره من الكتب السابقة إشكالية قديمة في ثوب جديد؛ طُرحت بطريقة مختلفة نوعا ما في العصر الحديث، حيث تميّز الطرح الجديد بمقارنة بعض النصوص الواردة في السيرة النبوية بنصوص الكتب السماوية السابقة وغيرها، ثم ادعاء التناص بينها؛ الذي يُستفاد منه الانتحال والنسج على منوالها حسب نظرة جملة من المستشرقين.

3- تجلى منهج التناص عند المستشرقين القدامى في محاولة إثبات المؤثر الثقافي (أو الإرث الثقافي) في سيرة النبي ﷺ ودعوته تاريخيا، أما في المرحلة المعاصرة بعد تطور مناهج النقد الأدبي وتحليل النصوص فتوجهوا إلى نصوص بعينها في السيرة النبوية لتحديد التوافقات النصية التي قد تخدم هذا الهدف لَمّا عسر إثبات المثاقفة تاريخيا، خاصة بعد أن تبين وهن فرضية المؤثر الثقافي في قصّة بحيرا الراهب وغيرها.

4- لم تسلم المقولات الاستشراقية في قضيّة التناص من التراجعات التي طالت جملة من القراءات الاستشراقية، كما تبيّن من خلال سرد تغير آرائهم حول قصة "بحيرا الراهب" بين القدامى والمحدثين إثباتا ونفيا وتفسيرا.

5- تتمثل **آفة التناص** في التعسّف وتحميل النصوص ما لا تحتمل، و**تعميم** التوافق الظاهريّ بينها، مع أنّ الاختلاف قد يكون بيّنا عند المقارنة الفاحصة.

6- تلقّف بعض المستشرقين منهج التناص واستثمروه في نقد نصوص السيرة النبوية ورواياتها، ليقدّم نفسا جديدا لأهدافهم الاستشراقية المشككّة في أصالة السيرة النبوية وربانية الوحي؛ فكان منهج التناص معول هدم وأداة تشكيك وطعن في أيدي فريق منهم؛ عوض أن يكون منهجا في تحليل النص وسبر أغواره وتفاعلاته المختلفة كما هو الحال في حقل النقد الأدبي.

7- مع أن التناص لا يدل على الانتحال ولا يقتضي التشكيك في الأصالة دائما حسب نظرية التناص الأدبية المعاصرة، فإنّ فريقا من المستشرقين سلك مسلك التعميم في هذه القضية؛ وجعلوا كلّ تناص مستلزم للانتحال وعدم الأصالة ، بينما لم يوافق فريق آخر من المستشرقين على ذلك التعميم، واعتبروا توافق الأديان ووقوع التشابه في دعوات الأنبياء أمرا طبيعيا وحتميا؛ كما هو الحال مع المستشرق "هينريش".

8- لا جرَم أن يكون في سيرة النبي الكريم شيء من التشابه مع سير الأنبياء -عليهم السلام جميعا- في تلقي الوحي والاتصال بالملائكة والتأييد بالمعجزات ونحو ذلك؛ لكنّ لسيرته أيضا كثير من الخصائص التي تتميّز بها.

كما أنّ التناص الذي قد يكون بين سيرة النبي محمد وسير غيره من الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– فيه دلالة على وحدة مصدر أديانهم، وعلى الرعاية الربانية التي احتفت بمسيرة حياة كلّ واحد منهم؛ وهو أمر أغفله كثير من المستشرقين في قراءاتهم التناصية بينما أقر به آخرون.

قائمة المصادر والمراجع

1. الأبطال، توماس كارليل، ترجمة محمد السباعي، مكتبة مصر– القاهرة، دت.
2. الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، محمد جلاء إدريس، دار العربي–القاهرة، 1416-1995.
3. الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله النعيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1: 1417-1997.
4. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر–مصر، ط1: 1418-1997.
5. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، دت.
6. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف–القاهرة، ط4: 1974.
7. تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي–بيروت، ط1: 2003.
8. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، أبو جعفر بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف–القاهرة، ط2: 1969.
9. تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، دار الحداثة–بيروت، دت.
10. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط3: 1420-1999.
11. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، المكتب الإسلامي–دمشق، ط3: 1411-1990.
12. جامع الترمذي (مع تحفة الأحوذي)، أبو العلا محمد المباركفوري، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1: 1422-2001.
13. دائرة المعارف الإسلامية (الإصدار الأول)، مجموعة من المستشرقين، ترجمة: أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دار المعرفة–بيروت، 1933.
14. دائرة المعارف الإسلامية (الإصدار الثالث)، المسماة: "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، مركز الشارقة للإبداع الفكري بالتعاون مع هيئة الكتاب المصرية، ط1: 1418- 1998.
15. دراسات في النص والتناصيّة، وفيها: التناصية، مارك أنجينو– نظرية النصّ، رولان بارت – التناصية، ليون سميفل، ترجمة محمد خير البقاعي، دار المعارف–حمص/ ومكز النماء– حلب، ط1: 1998.
16. دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية–بيروت، 1408-1988.
17. الرسالة المحمدية، سليمان الندوي، دار الأمان–القاهرة، ط1: 1415-1995.
18. الرسول القائد، محمود شيت خطاب، دار الفكر–بيروت، ط6: 1422-2002.
19. الرسول حياة محمد، بودلي رونالد، ترجمة السحار– محمد فرج، دار الكتاب العربي–القاهرة، دت.
20. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط1: 1402-1982.
21. السير والمغازي، ابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر–بيروت، ط1: 1398-1978.
22. سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا– إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت، طبعة مصورة عن مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1375-1955.
23. السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان –الرياض، ط8: 1530-2009.
24. السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي–بيروت/دمشق، دت.
25. السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم –دمشق، ط2: 1412-1992.

26. شرح النووي على صحيح مسلم، يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط2: 1392.
27. صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس-الأردن، ط1: 1415-1995.
28. الصحيح من أحاديث السيرة، محمد الصوياني، دار الوطن -الرياض، 1432-2011.
29. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البصري، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1: 1410-1990. وطبعة: دار صادر-بيروت؛ بتحقيق: إحسان عباس، ط1: 1968.
30. علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم- محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب- بيروت، ط1: 2003.
31. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار السلام-الرياض، دار الفيحاء- دمشق، ط3: 1421-2000.
32. فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، جامعة أم القرى، مركز بحوث الدراسات الإسلامية-مكة، ط2: 1413-1992.
33. فقه السيرة، محمد الغزالي، مع تخريج الألباني للأحاديث، دار القلم-دمشق، ط7: 1418-1998.
34. في الأدب والنقد، محمد مندور، دار نهضة مصر-القاهرة، 1988.
35. الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس-لبنان، 1996.
36. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان-بيروت، ط1: 1996م.
37. محمد ﷺ في مكة، مونتجمري وات، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، 1415.
38. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1: 1411-1990.
39. مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1: 1421-2001.
40. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى-أحمد الزيات -حامد عبد القادر- محمد النجار، إشراف مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية- بمصر، ط4: 1425-2004.
41. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط7: 1414-1994.
42. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بمساعدة جامعة بغداد، ط2: 1413-1993.
43. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مجموعة بحوث، مكتب التربية العربي لدول الخليج، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس، 1985.
44. مناهج النقد الأدبي، أندرسون إنبرت، ترجمة الطاهر مكي، مكتبة الآداب-القاهرة، 1412-1991.
45. منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، دار الفكر - دمشق، ط3: 1401-1981.
46. نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري، مركز زايد للدراسات-الإمارات، 1420-2000.
47. النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، منشورات إتحاد الكتاب العرب- دمشق، 2001.
48. نظرية التنانص -صك جديد لعملة قديمة-، حسين جمعة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/مجلد 75-جزء2.
49. نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومه- الجزائر، ط2: 2010.
50. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر- القاهرة، 1997.
51. The Encyclopaedia Britannica, eleventh edition, encyclopedia britannica company- New York, 1910-1911.
The life of Mohamet , Emile Dermenghem, printed in Britain, by Stephen austin-Hertford, 1930